باطلك عندهم منزلة الحق ؟ وان تجلس جورك مجلس العدل ؟ وان تقيم سيئاتك مقام الحسنات ؟ وان تعد رذائلك مقعد الفضائل ؟ ولعلك اغتررت بتمجيد وتعظيم المبصبصين وتجيل المتزلفين أمامك

ولو كنت تعلم مقامك فى النفوس . ومنزلتك لدى ارباب البصائر والعقول لودعت هذه الدنيا الملؤن التى ألمتك وفارقت حياتك العزيزة التى طالما افتديتها بالمروءة والانسانية

وأما انتم يابناء الشرق فلا اخاطبكم ولا اذكركم بواجباتكم فانكم قد ألفتم الذل والمسكنة والمعيشة الدنيئة واستبدلتم القوة بالتأسف والتلهف صرتم كالعجائز على تقدرون على الدرء والاقدام والجمع والمنع والرفع فانا لله وانا اليه راجعون :

اه نقلاً عن العدد ٣٣ من جريدة مصر التى صدرت فى الاسكندرية فى ٢٢ صفر سنة ١٢٩٦

الباب الثانى فى مسائل التعليم

﴿ الباب الثانى (الولد) من كتاب اميل القرن التاسع عشر ﴾

(١٨) من ارامبم الى هيلانة فى ١١ يونيه سنة — ١٨٥

قد يسأل سائل هل التفكر مما يتعلمه الطفل ؟ فاجيبه انى اعتقد ذلك غير انه ينبغى التميز التام بين مايتلقاه عن غيره من الافكار وبين مايستنتجه هو منها بنظره الى الاشياء . ونحن فى تخاطبنا معه لا نفعل شيأ سوى

تأدية أفكارنا اليه على وجه التمام او النقص مع ان الذي كان يجب علينا ان نصرف همتنا اليه هو ايقاظ ذهنه واستنباط افكاره وآرائه . انك تجد بين اذهان من يباشرون الكبار من الاطفال محشوة بجمل من الكلام لا يفهمون منها في معظم الاحيان الا معاني في غاية التشابه والالتباس وليس شحن اذهانهم بهذه الجمل مما ينمي فيهم قوى الادراك والفهم بحال من الاحوال ولكنه ابهاظ لها بما ليس من حقه ان يكون فيها . وكم لاقيت في سالف أيامي اطفالا يشتهرهم الناس بكونهم آيات في الذكاء والفطنة فرأيت ان كل ما يدعى لهم من العقل ينحصر في انطلاق ألسنتهم بما لا معنى له من القول وكنت عند نظري اليهم وهم في تنوقهم واعدادهم انفسهم لنوال الشهادات المدرسية يعروني من انقباض النفس وضيق الصدور ما يعروك لرؤيتك المتصنعين المدعين بما ليس فيهم وهو وجدان كان يتولى عليّ فلا أجد سبيلاً الى دفعه وكنت أقول في نفسي ان المشتغلين بتربيتهم يسلبونهم اليسير الذي آتاهم الله سبحانه من المواهب الخلقية بتعليمهم اياهم افانين القول وأساليب الكلام ليسموهم بسمات العقل الذي لمّا يبلغوا رتبته . اما والله لو كان لي الخيار لاخترت « لاميل » ان يصدر عنه فكر ساذج وان واحداً فقط يكون منبعثاً عن محض اختياره وكسبه ولفضلت هذا على كل ذلك الزخرف القولي والثرثرة التي لا نسبة بينها وبين العقل .

اذا نظرت الى الكون رايته مملوءاً بالناس يتكلمون بما يوجد في الكتب فان كل من يسمعهم يذكر انه طالع فيها جميع ما يقولونه والخطأ في هذا الامر راجع الى تربيتهم لانهم قد تعلموا من نشأتهم ان يرددوا آراء غيرهم .

الأم بالنسبة لولدها هي المجتمع الانساني بل المثال الحي لآثار السلف ولا يشك احد في انها مكلفة بان تعلمه كثيراً ولكن يجب عليها في تعليمها هذا التلميذ الصغير ان تكون على غاية الحذر من ان تلقي في نفسه الخضوع للالفاظ والاستعباد لها . ذلك ان هذا الامر ليس من شأنه ان يفتح مغلق عقله بل ان فيه اغاضة لينبوع المعارف الحقة ولا بدع في ذلك الا ترين ان الناس قد سموا اعمالا كثيرة قدستها العادة فروضاً مع رفض العقل اياها وعدم تسليمها وان الحق قد دمغ جميع الاباطيل على التعاقب وان القوة في كل زمن تسلب الحق ماله من موجبات الشرف والاعتبار . فمن لم يبلغ به عله الى الاحتراس من غرور القول وباطله والسير في ظلمات اللغة الانسانية على هدى فذلك الذي يعيش دهره مفتوناً بزخرفها أسيراً في ربقتها .

فالذي يجب علينا للطفل هو تعريفه بحالة الكون المحيط به (تعريفاً يكون بلا شك في غاية القصور على الظواهر والاقتصار على ما لابد له من معرفته) فان الكون كله معان . أريد بذلك ان كل شيء مؤثر من شأنه ان يفعل في عقل الانسان ويولد منه فكرا . ومن ظن ان الاطفال بعد انقضاء سنتين او ثلاث من عمرهم لا يكونون مفكرين فقد ظلمهم وحط من قدرهم نعم ان افكارهم ليست كافكارنا في جميع الاحوال وذلك مما يدعونا أيضاً الى اعتبارها وعدم اغفالها وقلما يوجد طفل لا يهتدي بنفسه الى ما يعلمه القائمون عليه اياه اذا هم تكلفوا اقامته على طريقه فعليهم ان يستعينوا بالتجربة والتمرين على ازالة بعض ما تقع فيه مشاعره من الاغلاط وان يحثوه بالاشارة والكلام على النظر والملاحظة فاذا فعلوا ذلك

سهل عليه بما يجريه من الاقيسة ربط الحوادث بعضها ببعض وارجاع بعضها الى بعض كارجاع استطالة ظل الرمح مثلاً الى انحدار الشمس عن اوجها واصبح القياس بهذه الطريقة ملكة راسخة فى نفسه على ما يفيده اياه من العلوم الاولية فان فى اسناد الحوادث بعضها الى بعض تعلماً للحكم عليها . اه

(١٩) من اراسم الى هيلانه فى ١٠ يوليه سنة — ١٨٥

قد هم المسجونون بالهرب من سجن . . . وشرعوا فى ذلك فعلاً فانكشف امرهم وستقرئين فى الصحف تفصيل هذه الواقعة . كانت الاحوال كلها مساعدة لنا على هذا الهرب وناهيك بليل غاب بدره وريح اشتدت عواصفه ومطر انهمرت سيوله على جدران السجن ولكننا اخفقنا بعد ان قطعنا اصعب العقبات واشدها واوشكنا ان نفوز بالنجاة .

فليت شعرى ماذا عسى ان تكون عواقب هذه الحادثة . اوى بحسب ما يبدو لى ان سيكون من نتائجها زيادة التشديد فى مراقبة المساجين وان المراسلات مع ما كانت محتفة به من العوائق ستكون على خطر مدة طويلة ولست ادرى ان كان هذا المكتوب يصلك ام تحول دونه الحوائل وانى ارجو ايتها العزيزة هيلانه ان لا يوجدك علىّ هذا الامر فانى لم استطع ان اصم اذنى عن نداء الفطرة التى تدعونى اليك والى ولدنا . اه